

تجليات التراث الشعبي في الرواية الجزائرية " الأمثال - المعتقدات - الأغاني الشعبية "

*Manifestations of popular heritage in the Algerian novel : proverbs, beliefs, popularSongs*

عبدو رابح\*

جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)

[rabdeddou@gmail.com](mailto:rabdeddou@gmail.com)

| ملخص:                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             | معلومات المقال                                                                                                                                                  |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>الكتابة الروائية إبداع مفتوح ولكل روائي الحق في الابتكار والتوسل بتقنيات ووسائل فنية في سبيل تجديد شكله الفني، وكتاب الرواية الجزائرية المعاصرة لم يدخروا أي جهد في إغناء نصوصهم السردية بالتراث الشعبي والنصوص الروائية المتولدة عن هذا التفاعل النصي مع معطيات تراثية من شأنها الغوص في أعماق المجتمع وثقافته والتعبير عنه .</p> <p>ومن ثمة كان لجوء مبدعي الرواية الجزائرية إلى إيجاد علاقة وثيقة بالتراث من خلال استلهامه واستخدامه بكل معطياته استخداما فنياً وإيحائياً ورمزياً لحمل القضايا المعاصرة</p> | تاريخ الارسال:<br>2025-09-25                                                                                                                                    |
|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   | تاريخ القبول:<br>2026-06-12                                                                                                                                     |
|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   | <b>الكلمات المفتاحية:</b> <ul style="list-style-type: none"><li>✓ الرواية</li><li>✓ التراث</li><li>✓ المثل</li><li>✓ الأغنية</li><li>✓ السيرة الشعبية</li></ul> |
| Abstract :                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        | Article info                                                                                                                                                    |

**Keywords:**

- ✓ : the novel
- ✓ the heritage
- ✓ – the proverb
- ✓ the song
- ✓ the popular biography

*Fiction writing is an open innovation, and every novelist has the right to innovate and to use techniques and artistic means in order to renew his artistic form, the writers of the contemporary Algerian novel have not spared any effort in enriching their narrative texts with folklore, and narrative texts generated by this textual interaction with heritage data that would delve into the depths society, its culture and its expression, and then the Algerian novel's creators resorted the creating a close relationship with the heritage through inspiring heritage and using in with all its data in an artistic, suggestive and symbolic use to carry contemporary issues*

**. مقدمة:**

يشير تاريخ الرواية العربية بكثير من الوضوح إلى أنّ فنّ الرواية هو فنّ دخیل على الثقافة العربية والتي كانت في الأساس ثقافة تقليدية ضمت على مدار قرون طويلة الأجناس الأدبية والثقافية التقليدية كالشعر والخطب والمقامات والرسائل وغيرها، ولعلّ البحث في نشأة الرواية العربية وتطورها والكشف عن قدراتها في تمثيل المرجعيات المختلفة والتصورات الكبرى عن الذات والآخر كل ذلك يضع الباحث في الرواية العربية أمام سيل من الأسئلة والإشكاليات اللامتناهية حينما يحاول ربط الرواية العربية بالرواية الغربية فيتشكل أمامه ذلك الموروث السردى العربى الضارب بجذوره في عمق التاريخ .

ويبدو أنّ طبيعة العلاقة بين الرواية العربية ونظيرتها الغربية والتي تتركز على خلفية صدامية تعود لبدايات الاجتياح الاستعماري ثم على خلفية ثقافية ترجع لاحتكاك العرب بثقافة وأدب الغرب جعلت عديد المبدعين والكتاب الروائيين بداية من الربع الأخير من القرن العشرين يلتفتون لثراء التراث العربى وأهمية توظيفه في إبداعاتهم كما عمل النقاد والدارسون على ربط الرواية العربية بجذورها التراثية وقطع صلتها بالرواية الغربية وقد وجد الباحثون في كتب التراث ما يعزّز توجههم ويثري المنجز السردى العربى بألوان متعددة من القصص الديني وأخبار الشجعان والمقامات والقصص الشعبية وأخبار الملوك وفتوحاتهم وأبطالهم وغيرها كثير .

لقد نجم عن دخول الرواية الغربية في طور الحداثة تأكيد لقطع الصلة بينها وبين الرواية العربية فاكتمل الروائيون العرب بأخذ تقنيات الرواية الغربية وبالقدر الذي يحقّق لنصوصهم الفنية المطلوبة وتجاهلوا ما يخصّ المجتمع العربى ويتعارض مع الثقافة والفكر العربى، ومع ذلك لم يكن للشكل التراثى دوام الأثر فقد أدرك الباحثون والمختصون أن الثقافة الغربية قد حلّت بحلّة فنية جديدة ولمواجهتها لا بد من خلق شكل فنيّ جديد أيضاً وعليه تمّ التّكسر للتّراث والتشبّث بالشكل الغربى فدخلت الثقافة والفكر العربى ومعهما الرواية العربية في صراع هويّاتي بين ما هو تراثى أصيل من جهة وبين ما هو غربى وافد من جهة أخرى ولم تتبيّن الرواية العربية طريقها الصحيحة إلا بعد أن تخلّصت من سيطرة الرواية الغربية من خلال التّوقف عن تقليدها كما تخلّصت من هيمنة التّراث بإعادة النظر فيه وفي طريقة توظيفه والاستفادة منه .

ولأنّ الأديب المعاصر يعيش مغترّباً في واقعه تحاصره القوانين والأنظمة من كل جانب فتكبّل شاعريته وتحدّ من إبداعاته مع ما تنتجه من تناقضات ومفارقات غريبة فقد حاول هذا الأديب المبدع أن يبحث عن عالم أفضل يناسب حسّه المرفه وخياله المحلّق ويعيده إلى طبيعته الأولى، فلم يجد أحسن من العوالم البدائية فكانت الأسطورة والتقاليد الشعبية هي الملاذ والمتنفس يحاكيها ويستلهم من سحرها ليوظف في نصوصه .

ويبدو أنّ العوالم الأسطورية والخرافات الشعبية قد أغنت العمل الأدبي فضخت فيه دماءً جديدة وصوراً شاعرية متجددة ومعبرة أظهرت تطلع الذات المبدعة لكل ما هو بسيط ورؤيته عميقة ولكل ما هو معبرّ يعكس تطلعاً بشرياً متفانلاً للحياة رغم ما يميزها من تناقضات صارخة .

وعليه تروم هذه الورقة البحثية العودة لمجموعة من المتون السردية الجزائرية التي حاول مبدعوها تأنيثها وفق العوالم الشعبية البسيطة حيث يعود الإنسان إلى طبيعته الأولى بكل ما فيها من صفاء وسذاجة لي طرح قضايا متعلقة أساساً بالثقافة الشعبية الجزائرية كأعراف وعادات وتقاليد ورموز ومعتقدات وتصوّرات وقيم توارثتها الأجيال وصيرتها مجموعة من الممارسات الثقافية التي يحياها المجتمع الجزائري .

وإذا كانت تلك الممارسات والأشكال التعبيرية متوارثة بين الأجيال كما أشرنا وهي بمثابة الثقافة الشعبية المشكلة في جزء كبير منها من الأساطير والخرافات فهي في حقيقة الأمر لا تزال سارية المفعول وهي تعيش بالفعل وتظهر في يوميات وسلوكيات الفرد البسيط بل وتؤدي وظائفها وبأشكال مختلفة .

وبالعودة للمنجز الروائي الجزائري فإننا سنلقي عديد الروائيين ينهلون من التراث الشعبي ويعتمدون أسلوب الأسطورة في نصوصهم من ذلك التعابير الشعبية والأمثال والحكم التي تعود في مضمونها لشعوب وأقوام قطنت أرض الجزائر وخلفت ذلك الكم الهائل من العادات والتقاليد والأحاديث والمعتقدات .

ولعل القارئ لروايات الرعيل الأول للرواية الجزائرية كنص الجازية والدرافيش لعبد الحميد بن هدوقة مروراً بروايات الجيل الثاني مع واسيني الأعرج والجيلالي خلاص وصولاً لروايات بشير مفتي وعز الدين جلاوي وغيرهم كثير سيلمس حتماً تلك الثقافة الشعبية وذلك البعد الأسطوري والأجواء الغرائبية التي وظفها الروائي الجزائري وهو يعبر عن آلام وآمال فئات الشعب المختلفة فيستعير الشخصية التراثية حيناً أو يعتمد للتوظيف الكلي للحدث التراثي حيناً آخر مع عدم إغفال العناصر الشعبية واستثمارها في بناء الحدث الروائي .

وإذا كنا سنستعرض بعضاً من الروايات الجزائرية لعدد من المبدعين الجزائريين معتبرين الثقافة الشعبية جزءاً من ثقافة المجتمع و الأمة فإننا سنركز على ذلك الموروث الشعبي الذي يعد بحق كنزاً حقيقياً ومرجعاً نرسم به هويتنا وأصلنا كما أننا سنؤكد على ذلك الاشتغال الدائم والمستمر من قبل الروائي الجزائري على صعيد التجريب والتجديد بغية الارتقاء بالمنجز الروائي الجزائري لمصاف النصوص الراقية فنياً وإبداعياً .

### تجليات الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية :

لا شك أن التراث الشعبي بأشكاله المختلفة يعد من مقومات الحفاظ على الهوية والتمسك بالأصول والجذور التي تميز الأنا عن الآخر في ظل عالم تكنولوجي ورقمي ضاعت فيه كل الخصوصيات وغابت الأعراف والتقاليد والطقوس التي تصنع الفوارق الممتعة بين الشعوب والأمم " فما هو تراثي شعبي ينطلق من عمق المجتمع بكل جدية وعفوية، ويخلق مناسباته ومادته بعيداً عن أي ترشيد أو توجيه أيديولوجي أو سياسي أو فكري أو دعم مؤسسي. " (1)

لقد انتبه الروائيون الجزائريون لأهمية التراث الشعبي وجماليات توظيفه في نصوصهم كخلفية ثقافية أصيلة تُرسخ تجاربهم الروائية وتؤكد وجود نماذج فنية جديدة غايتها تأصيل الفن الروائي عربياً ومحلياً، إن ربط المتن السردى بالجذور التراثية إن على مستوى الشكل أو المضمون هو في الحقيقة ربط وتواصل مع " مجموعة من المظاهر الثقافية والاجتماعية التي تتجسد كأفعال جماعية تتم فيها المشاركة الوجدانية وهي أيضاً ككل الإنجازات التي تضم شكلاً من أشكال التجمعات التي تتميز بالحرارة العاطفية ودفع التواصل " (2)

وعليه حاولت الرواية الجزائرية كتابة نص روائي متميز ومتفرد يتأسس وفق منظور محدد وبرؤية متفتحة على الأشكال التراثية الشعبية التي تتضمن " كل الموروث على مدى الأجيال من أفعال وطرق وعادات وتقاليد وسلوكيات وأقوال تتناول مظاهر الحياة العامة والخاصة وطرق الاتصال بين الأفراد والجماعات الصغيرة والحفاظ على العلاقات الودية في المناسبات المختلفة بوسائل متعددة. " (3)

ويبدو أن هذا الالتفات للتراث الشعبي جعل الروائي الجزائري يُبدع نصوصاً جديدة ومميزة كانت بمثابة العلامات الفارقة في مسار المنجز الروائي الجزائري، كيف لا وقد تفاعل عديد المبدعين الروائيين مع تراثنا الشعبي الجزائري بوعي راسخ وبمنظور محدد إيماناً منهم بثراء هذا التراث وقدرته على قراءة الواقع الراهن بشكل يستند على مرجعيات وتجارب سابقة خاضها أسلافنا في مجالات متعددة .

إن العودة للتراث الشعبي ومحاولة نفخ الغبار على منجزات السلف هو تفعيل لذلك التراث وإعادة قراءته بشكل متجدد يُمكن الذات الإنسانية من مجابهة واقع مُعقد ومرير من خلال التواصل مع الماضي وما فيه من مآثر وأمجاد تليدة، كما أن النص لا يُولد من عدم فهو نتيجة سياقات حضارية ثقافية وفكرية معينة تؤكد " أن التفاعل مع الخصوصيات الحضارية للمجتمع مسألة طبيعية، بحكم أن النص الروائي لا يقوى على الانشقاق من ظروفه الحضارية ومقتضيات سياقاته الخارجية. " (4)

وعليه سنحاول في دراستنا تتبع أبرز الأشكال الشعبية التي طبعت الرواية الجزائرية فأضفت عليها سمة فنية مميزة تُظهر عراقة و ثراء ذلك الموروث الشعبي وتعدّد مشاربه من أمثال وحكم وسير وأغاني ومعتقدات شعبية تُمثل روح الشعب وأصالته وخصوصياته التي يتميز بها عن بقية الشعوب .

### الأشكال الشعبية في الرواية الجزائرية :

يبدو أن ثراء وتنوع التراث ما بين أمثال وحكم ومعتقدات وتقاليد شعبية وأغاني وطقوس حياتية متنوعة كل ذلك جعل الروائي المبدع يُعبر عن الواقع الاجتماعي بأريحية وهو ينهل من هذا التراث ويوظفه في نصه

وقد انعكس ذلك على الساحة النقدية فأضحى التراث في نظر النقاد المتخصصين من أبرز الإشكاليات المطروحة للدراسة شكلاً ومضموناً، وقد التفت المبدعون العرب للتراث الشعبي بشكل خاص ووقفوا على مجموعة القيم الإنسانية الخالدة التي تميز مكونات تراثنا الشعبي فراحوا يوظفونها في متونهم وقد "نبهوا في غير مرة إلى مدى خصوصيته والتفتوا إليه لتصوير حاضرهم على ضوء ماضٍ تراثي موغل في القدم وغني بمظاهر الإحياء." (5)

لقد شيدت الرواية العربية جسوراً متينة ربطتها بتراثها الشعبي وقد تأثرت النصوص الأولى بالأدب الشعبي من خلال متون خالدة ومؤثرة لعل أهمها "ألف ليلة وليلة" وعليه "التفت الروائيون العرب إلى أساطيرهم وخرافاتهم وقصصهم العربية القديمة وقصصهم الديني وتراثهم الشعبي." (6)

وبالعودة للأشكال التراثية الشعبية التي وظفها الكتاب المبدعون في الرواية الجزائرية فإننا سنقف حتماً على زخم إبداعي وتراث غني يضم أنواعاً مختلفة حاول فيها الروائيون المزاجية بين مادة التراث الشعبي والمادة الإبداعية، فالتراث الشعبي لا يزال قادراً على تصوير العلاقات الاجتماعية المعقدة والتعبير عن تناقضات الحياة الغامضة، ولهذا نجد أبرز المبدعين في الرواية الجزائرية يوظفون تلك الأشكال ومنها **الأمثال الشعبية** ويجعلون نصوصهم حافلة بها، لأن المثل الشعبي في مبناه ومعناه هو "عبارة قصيرة تلخص حدثاً ماضياً أو تجربة منتهية، أو موقف الإنسان من هذا الحدث أو هذه التجربة في أسلوب غير شخصي

أو أنه تعبير شعبي يأخذ شكل الحكمة التي تُبنى على تجربته أو خبرة مُشتركة." (7) والحقيقة أن المثل الشعبي من أكثر الأشكال التراثية حضوراً في المنجز الروائي الجزائري وهو مع طول وكثرة الاستعمال بين الناس ترسخ وتثبت في الذاكرة وأضحى مرتبطاً بشتى مجالات الحياة الثقافية والنفسية وغيرها.

كما أنه جماعي النشأة لا يمكن نسبته لشخص معين وهو "قولٌ وجيزٌ يعبر عن خلاصة تجربة، مصدره كامل الطبقات الشعبية، يتميز بحسن الكناية وجودة التشبيه، له طابع تعليمي ويرقى عن لغة التواصل العادي." (8)

ولعل ما يمكن أن يستنتجه الباحث وهو يتأمل تلك الأمثال الشعبية في النصوص الروائية الجزائرية أنها تلعب دوراً تعليمياً يجعل الفرد رصيناً صاحب نظرة بعيدة وثاقبة وذا صلة قوية بواقعه ومجتمعه.

ويبدو أن الروائي الجزائري تظن لأهمية المثل الشعبي ودوره في إثراء النص السردي فراح يستلهم من ذلك الزخم الهائل من المأثورات والأقوال التي تبدو بسيطة في مفرداتها وتراكيبها ولكنها عميقة في معانيها ودلالاتها، وبالعودة للنصوص البارزة في تاريخ الرواية الجزائرية سنستوقفنا تجارب كثيرة في هذا السياق على رأسها رواية "رياح الجنوب" للروائي عبد الحميد بن هدوقة.

### 1 - الأمثال الشعبية في رواية "رياح الجنوب" (9) :

لم تكن البيئة القروية التي اختارها "ابن هدوقة" لروايته عفوية فهو يُعالج موضوع الصراع بين التقاليد والأعراف الاجتماعية المتوارثة من جهة، والتطلعات نحو التغيير والتحرر من جهة أخرى، خاصة في سياق التحولات السياسية والاجتماعية التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال، فبساطة العيش في الريف الجزائري وخاصة قرى الجنوب كان بمثابة الفضاء المناسب لتصوير الصراعات والمؤامرات بين شخصيات الرواية كما أنه المكان الأنسب لتداول الأمثال الشعبية المعبرة عن ثقافة القرويين وثراء عاداتهم وسلوكياتهم بألفاظ بسيطة ومعاني عميقة تُبرز أصالة الشعوب ومدى حرصهم وتقديرهم لإراث الأجداد بكل أشكاله.

لقد كان حضور المثل الشعبي في رواية "رياح الجنوب" طاعياً ومُلفتاً ذلك أن الكاتب حرص على تبين الدور الاجتماعي المهم للمثل الشعبي في الأوساط القروية فمعظم شخصيات الرواية جاء على لسانها مثل شعبي أو أكثر وقد عزز هذا التوجه وقوى عنصر الاهتمام بالتراث والبعد الشعبي لشخصيات الرواية ويمكننا أن نورد مجموعة من الأمثال الشعبية التي ميّزت بشكل خاص مواطن الحوار بين الشخصيات ومن ذلك في النص:

أ - "مايدي بالمزود غير إلي نضرب بيه" : ورد هذا المثل على لسان العجوز "رحمة" وهي تُحاور "نفيسة" التي قالت لها بأنها تدعي الكبر والعجز فأجابتها العجوز بأن فتاة في مُقْتَبَل العمر لا يمكن أن تشعر بمعاونة عجوز تقدّم بها العمر فصاحب المشكلة هو الوحيد القادر على معرفة خبايا مشكلته وهو أقدر على حلّها

ولعل هذا ما يدل على حنكة العجوز وحكمتها فسنوات العمر الطويلة أكسبتها معرفة ودراية بشؤون الحياة.

ب - "اليوم عندي وغدوة عندك" : إذا كانت "رياح الجنوب" رواية حافلة بالأمثال الشعبية فلا يمكن لكتابتها أن يتجاوز هذا المثل لأن الأوساط الشعبية كثيراً ما تُردّده وقد جاء المثل على لسان رجل من القرية مخاطباً ابن القاضي على سبيل المُواساة إذ أخبره عن هروب ابنته ومُحاولة إقناعه أن كل شخص يمكن أن يتعرض لهذا الأمر، كما يأتي هذا المثل في سياق طلب مُساعدة

أو سلفة تعبيراً عن ردّها في يوم آخر، وفي ذلك كلّ تجسيدٍ لروح التضامن بين أفراد الجماعة وتذكيرٌ لحاجة الواحد منهم للآخرين .

**ج — " أنت في واد وأنا في واد آخر "** يردُّ هذا المثل عادة تعبيراً عن الفوارق والاختلافات الشديدة بين شخصين وقد صدر في الرواية عن "ابن القاضي" الرجل الإقطاعي صاحب المصالح الشخصية التي تتعارض مع أفكار "مالك" الرجل المُحب للفلاحين الداعم لتوجهات الثورة الزراعية، فالمثل يُعبّر عن عدم توافق بين الرجلين فما يراه مالك مُفيداً يراه ابن القاضي لا يصلح .

هذه نماذج بسيطة من الأمثلة الشعبية التي تحفلُ بها رواية "ريح الجنوب" وهي في مجموعها تُعبّر عن بساطة المجتمع القروي ومدى تمسّكه بإرث الأجداد، كما أنّه يُمكننا ملاحظة مدى صدق وعفوية تلك الأمثلة وتجسيدها لأفكار القرويين وطريقة التعامل فيما بينهم .

## 2 — المعتقدات الشعبية في رواية " الزلزال " :

ترتبط المعتقدات الشعبية بالمشاعر والأحاسيس الإنسانية العميقة والتي تتأثر بالعوامل الخارجية "والمعتقد قناع كاشف يختلج ما في نفوس الشعب من إحساس وشعور وفرح وخوف وإيمان خاصة إذا تعلّق الأمر بالعالم الروحي أو بعض مظاهر الواقع المعيش . " (10)

ولعلّ هذا ما يجعل المعتقدات الشعبية مُختلفة عن بقية الأشكال الشعبية فهي نتيجة تراكمات من حضارات وأمم سابقة ساهمت بأفكار وسلوكيات معينة في ترسيخ نظرة أو موقف تجاه قضايا معينة، ورغم تطور الإنسان عبر العصور بقيت المعتقدات الشعبية مُتداولة بين مختلف طبقات المجتمع وبمستويات متفاوتة حسب وضع الفرد وطريقة تفكيره والمبادئ التي يؤمن بها، كما أن الظروف المعيشية الصعبة التي عاشها الناس في عصور مختلفة جعلتهم يتبنّون تلك المعتقدات ويجعلونها جزءاً من ثقافتهم توارثتها الأجيال لاحقاً.

ومما يثير اهتمام الباحثين في مجال المعتقدات الشعبية ذلك التأثير البالغ والحضور اللافت للمعتقد الشعبي لدى عامة الناس دون أن تكون له قاعدة علمية أو شرعية يستند إليها، ولهذا يرى عديد الدارسين أن ثمة ما يُعرّز حضور المعتقدات الشعبية خاصة في المجتمعات المتخلّفة ومن ذلك مثلاً : انتشار مظاهر التخلّف وذبوع الجهل والأمية وخاصة في المسائل الشرعية ساعد على ظهور عدة ممارسات كالسحر والشعوذة وظاهرة التعلّق بالأولياء الصالحين وقدراتهم الخارقة " حيث ألصقت بقدرة الأولياء عدة خرافات ساعدت على اتساع شهرتهم بعد وفاتهم نجمت عن حياة الزهد التي عاشها الولي " (11) .

كما أن تواصل المغرب بالمشرق عن طريق الرحلات المختلفة ساهم في نقل عبق الشرق وخرافاته وأساطيره وما يُغري عامة الناس من قصص تاريخي وطرائف وخرائب وغيرها .

لقد حاول " الطاهر وطار " في روايته "الزلزال" أن يوظّف عنصر المعتقدات الشعبية في نصه من خلال زيارة بطل الرواية الشيخ "عبد المجيد بولرواح" لمدينته قسنطينة وهو القادم إليها من العاصمة الجزائر حيث يشغل منصب مدير ثانوية، و"بولرواح" ينحدر من عائلة الباشاوات المقربة من سلطات الاحتلال إبان الثورة عاد إلى قسنطينة بعد الاستقلال بحثاً عن أقاربه ليوزّع عليهم أراضيهم بغية حمايتهم من قانون "الإصلاح الزراعي" .

وأثناء عملية التّجول في مدينة قسنطينة والبحث عن الأقارب اكتشف "بولرواح" أن المدينة تغيّرت وأن أقاربه تبدّلت أحوالهم فذهل وبدا ساخطاً وعصبياً وراح يدعو على ساكنة المدينة بالزلزال، وقد انتهى به المطاف في المستشفى بعدما شوهد فوق أحد الجسور يكاد يسقط وينتحر .

في الرواية تأكيد على مكانة الأولياء الصالحين وبشكل خاص عند سكان قسنطينة المدينة التي تُعرف انتشاراً كبيراً لأضرحة الأولياء ومقاماتهم ( سيدي راشد، سيدي مسيد، سيدي عبد المؤمن ..... ) وتتجلى تلك المكانة في زيارة الأهالي للأضرحة والتّبرك بها وجعلها واسطة لتحقيق الأمناني، وهي اعتقادات يؤكدها بطل الرواية حينما يُخاطب أحد الأولياء راجياً تسليط زلزال على المدينة نظير فجور وفسق أهاليها فيقول: " يا صاحب البرهان، ياسيدي راشد، احضر، وقل فيها القول الفصل، حركها بهم وبمنكرهم ... حان لك أن تحضر يا سيدي راشد حان، لقد صبرت أكثر ممّا ينبغي يا صاحب البرهان. " (12)

في العبارة تجسيد للمعتقد الشعبي الذي يجعل للأولياء الصالحين قدرات وخوارق عجيبة حتى وهم أموات، كما يؤمن عامة الناس أن الولي باستطاعته إلحاق الأذى بالبشر ولهذا تجري على ألسنتهم لفظة "سيدي" تقديراً وتبجيلاً لهذا الولي، وتأتي زيارة الضريح والتّبرك به دليل على القرب وطلب التعجيل في تحقيق الأمناني.

وإلى جانب الإيمان بالأولياء والتّبرك بهم كمعتقد شعبي سائد ومنتشر في المجتمع الجزائري، يُوظف وطار في روايته الزلزال معتقدات شعبية أخرى نذكر منها: الوعدة التي ترتبط بالأولياء الصالحين والذين يحققون الأمناني بشرط أساسي هو تقديم القرابات

والذبايح وإقامة الولائم وتتم العملية عند الأضرحة مع جمع غفير من الناس، وتأتي الوعدة عادة بعد نذر ينذر الشخص للولي ويلتزم فيه بتقديم القربات عرفاناً بالجميل .

ويُعرّج وطار في نصه على معتقد آخر يُسيطر على فئات واسعة من أفراد المجتمع فيذكر لنا طقوس " السحر والشعوذة" والتي تعود الناس اللجوء إليها حينما تقسوا عليهم الحياة فيلجؤون لأشخاص يدعون القدرة على مواجهة تلك الأزمات والمشاكل وتذليلها، وفي الرواية إشارة للظاهرة حينما ذكر الكاتب الشاب الريفي الذي قصد "الطالب" ليقوم له بعمل ما على خط الرمل، أو ما جاء في النص عن المرأة التي تطلب "حجاباً" لابنتها التي طال انتظارها لزواج يُخلصها من حالة العنوسة، ويذكر الكاتب أيضاً زيارة الأهالي لشيخ الزاوية مع تقديمهم المال طلباً لبركته، والزوايا الصوفية كثيرة الانتشار في كل ربوع الجزائر ولها طقوس وأجواء خاصة تصدّر عن المريدين وعامة الناس .

لقد حاول وطار في روايته الزلزال أن ينقل لنا تمسك المجتمع الجزائري بمعتقدات الأسلاف وسلوكياتهم وما ينتج عن تلك الزيارات للأولياء والمشايخ من جهة ومن إقامة الوعدات من جهة أخرى ما ينتج عن كل ذلك من ترابط اجتماعي وتكافل بين الناس وهو الجانب الإيجابي في المعتقدات الشعبية التي ساهمت أيضاً في إثراء النصوص الأدبية بألوان إبداعية متنوعة أنتجت بعداً جمالياً وفنياً متميزاً.

### 3 — الأغنية الشعبية في رواية " رمل الماية" (13) :

التصقت الأغنية الشعبية بالحياة الاجتماعية الجزائرية فكانت حاضرة في كل المناسبات والوقائع التاريخية التي شهدتها الجزائريون وبشكل خاص إبان فترة الاحتلال، وقد أدرك الروائيون خصوصيتها كمكون ثقافي أصيل يتجسد داخل النص فيعمل كأداة فنية تعكس حياة المجتمع، ومن خلال استحضار الموروث الشعبي تساهم الأغنية الشعبية في تثبيت الرواية وربطها ببيئتها الثقافية وبالتالي تقريبها وتبسيطها لجمهور القراء.

والأغنية الشعبية نوع من الموروث الشعبي الذي يتكئ على الكلمة واللحن وقد تداوله الناس شفاهياً وبغفوية وتلقائية، فكانت تلك الأغاني شديدة الارتباط بالأوساط الشعبية وهذا ما ساعد على بقائها وتوارثها، وقد حاول عديد الدارسين شرقاً وغرباً أن يقدموا مفهوماً دقيقاً وجامعاً لها ولعلهم اتفقوا على أنها:

" قصيدة غنائية ملحنة مجهولة النشأة، ظهرت بين أناس أميين في الأزمنة الماضية ولبثت تجري في الاستعمال لفترة ملحوظة من الزمن، هي فترة قرون متوالية في العادة." (14)

تنوعت مضامين الأغنية الشعبية في رواية " رمل الماية" للكاتب الروائي " واسيني الأعرج" وكانت مُعبّرة عن مواقف وانفعالات شخوص الرواية ومُستعرضة لخصوصيات الفضاء الشعبي ودلالاته العميقة فجاء النص بهوية جزائرية تحملُ قيماً حضارية وثقافية راسخة تؤكد دور الأغنية الشعبية في تجسيد أصالة المتن السردي والتعبير عن محليته شكلاً ومضموناً وقد وردت في الرواية عدة مقاطع لأغاني شعبية كثيراً ما يُردّها الجزائريون وخاصة قاطنوا المناطق والأحياء الشعبية ومن ذلك في النص:

" غن يا عيني، غن

القلب صار وحيد .

واش بقى لي في القلب شيء

نصير به عنيد

آه يا لوليد

شكون باعك في سوق لعبيد ."

مفردات المقطع السابق تُرسم للمتلقّي أشجان وهموم نفس مُنكسرة تُعاني من قسوة وشدة الوحدة بعدما انفضّ القريب والبعيد، فلم تجد الذات وسيلة لبثّ انكساراتها وأوجاعها إلا كلمات بسيطة ولكنها صادقة ومُعبّرة .

لقد تفتّن المبدعون لأهمية إدراج المقاطع الغنائية داخل نسيج المتن السردي، فما يبدو تراكيب ومُفردات بسيطة هو في الواقع تعابير قويّة تنقل واقعاً معيشياً قد يعجز السرد الفصيح عن إيضاحه وهو اختزال قوليّ لآمال الجماعة وتطلّعاتها، ولهذا يجدها الروائيون خاصة كنزاً ثميناً أنتجته قرائح شعرية بكثير من العفوية والابداع والحكمة في نقل التجارب الحياتية الفردية و الجماعية ومن المقاطع المُعبّرة عن ذلك :

" إذا جاك الزمان بضره

اليس له ثوب من الرضى

وأشطح للقرد في ملكه

وقل، يا حسرته على ما مضى ..."

" يا البحر يا لهبل .

داويني بملحك نبرا .  
غرقني بين الموجة والموجة، حبيت نرقد ...  
وحبيبي ضاع ...

داويني بملحك نبرا، يا لبحر يا لهبل ..."

إنَّ المُتَمَعِّنَ في دلالات المقاطع الغنائية السالفة سيكتشف لا محالة رمزية وإيحائية عميقة ترتبط بتجربة الفرد داخل واقع اجتماعي عادة ما يكون قاسياً ومُراً بضغوط نفسية وفكرية مُتداخلة، وهذا ما يشحن النص ويخدمه دلالياً وفنياً ويدفع مُبدعه إلى تشييده بلمسة شعبية تختزل المشهد الروائي وتجعله أصدق و أبعد .

### خاتمة :

لا شك أنَّ النَّصَّ الروائي هو مُلتقى لتقاطع خطابات مُتنوعة تتداخل فيما بينها لتُزخرف النَّصَّ بمُقتبسات فنية ثقافية وحضارية تنقل روح وأصالة الشعوب، ويبدو أنَّ الروائي الجزائري قد استوعب أهمية تنوع الخطابات داخل نسيج المتن السردى فراح يستلهم من الموروث الشعبي بكل تجلياته وأبعاده الترميزية.

لقد بثَّ الروائيون الروح في الموروث الشعبي حينما قدّموه بشكل مُغاير يتأقلم ومُعطيات النص الروائي ويتلاءم مع السياقات التاريخية والثقافية للنص الجديد كما صبغوه بلغة شعرية مميزة، فاستدعاء الأشكال الشعبية المختلفة ( أمثال — مُعتقدات — أغاني شعبية ...) وإدراجها داخل نص مُوحد قائم على مبدأ التجاور والتجانس يُشكّل حتماً لحمة وبناءً سردياً مُتماسكاً تتصهر فيه نصوص شعبية مختلفة تُساهم في تماسك البنية السردية وتناغمها، ومما يساهم في جماليات توظيف التراث الشعبي داخل النص الروائي اللغة العامية التي تمنح النص ذلك البعد الواقعي وتكشف عن هامش من الحرية يمنحه الكاتب لشخص الرواية حتى تُعبّر عن آمالها ومشاعرها دون قيد وباللغة التي تُناسب الواقع المعيشي لطبقات المجتمع بكل مستوياتها.

### الهوامش والاحالات:

- (1) — فؤاد أزروال: التلقي في الفرجة الشعبية، دراسة في الأنماط والأسس، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة، 2004، 2005، ص: 40 .
- (2) — المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (3) — حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2003، ص: 15 .
- (4) — فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفعاليات النصية وآليات القراءة، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص: 338 .
- (5) — عبد الملك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب، دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة، الدار التونسية للنشر، دط، دت، ص: 16 .
- (6) — منصور قيسومة: الرواية العربية — الأشكال والتشكّل — دار سحر للنشر، ط1، 1997، ص: 9
- (7) — أحمد أبو زيد: دراسات في الفولكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1972، ص: 187 .
- (8) — أحمد زغب: الأدب الشعبي ( الدرس والتطبيق )، مطبعة مزوار، ط1، الجزائر، 2008، ص: 88 .
- (9) — عبد الحميد بن هذوقة: ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971 .
- (10) — محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دليل العمل الميداني الجامعي للتراث الشعبي، دار الثقافة والنشر، القاهرة، ج1، 1983، ص: 42 .
- (11) — ليلى قريش: القصة الشعبي الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1980، ص: 154 .
- (12) — الطاهر وطار، الزلزال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1976، ص: 14 .

- (13) - واسيني الأعرج: رمل الماية، فاجعة الليلة السابعة بعد الألف، دار كنعان، دمشق، ط1، 1993 .  
 - (14) - ألكسندر هجرتي كراب: علم الفولكلور، ت: أحمد رشدي صالح، وزارة الثقافة المصرية، دط، دار الكتاب، القاهرة، 1967، ص: 253 .

#### المصادر والمراجع :

- (1) — الطاهر وطار، الزلزال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1976 .
- (2) — أحمد أبو زيد: دراسات في الفولكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1972 .
- (3) — أحمد زغب: الأدب الشعبي ( الدرس والتطبيق)، مطبعة مزوار، ط1، الجزائر، 2008 .
- (4) — ألكسندر هجرتي كراب: علم الفولكلور، ت: أحمد رشدي صالح، وزارة الثقافة المصرية، دط، دار الكتاب، القاهرة، 1967 .
- (5) — حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2003 .
- (6) — عبد الحميد بن هدوقة: ربح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971 .
- (7) — عبد الملك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب، دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة، الدار التونسية للنشر، دط، دت .
- (8) — فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغاربية، دراسة في الفعاليات النصية وآليات القراءة، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010 .
- (9) — فؤاد أزروال: التلقي في الفرجة الشعبية، دراسة في الأنماط والأسس، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة، 2004، 2005 .
- (10) ليلي قریش: القصة الشعبي الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1980 .
- (11) محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دليل العمل الميداني للتراث الشعبي، دار الثقافة والنشر، القاهرة، ج1، 1983 .
- (12) منصور قيسومة: الرواية العربية — الأشكال والتشكّل — دار سحر للنشر، ط1، 1997 .
- (13) واسيني الأعرج: رمل الماية، فاجعة الليلة السابعة بعد الألف، دار كنعان، دمشق، ط1، 1993 .